

## دلالات الرمز في خطاب بشري البستاني الشعري

▪ أ. م. د. د. غانم سعيد حسن

متابعة ادبية

▪ عبد الوهاب محمد الجبوري

▪ مدخل

ان مجتمع مدينة الموصل محافظ لذا واجه الافراد فيه مشكلات كبيرة في التعبير عن افكارهم غير النمطية ومشاعرهم لأن من طبيعة المجتمعات المحافظة ان تسعى للحفاظ على ما هو كائن وعلى درجة عالية من الديمومة والثبات وان المجتمع ذكوري الطابع والسلطة، واجهت المرأة ضغطا اضافيا فضلا عن انها عضو في المجتمع يُمارس عليها المجتمع ضغط الثبات والتوازن والمحافظة.

اذا ارادت المرأة ان تعبر عما يجيش في نفسها في القطاع الاكثر تحريما وهو قطاع العواطف والجنس فإن عواطفها تكون تابعة لرغبات الرجل وانفعالاته واجهها الاستقبال لذلك واجهت المرأة الادبية دائما مشكلة التعبير عن عواطفها باي شكل ادبي وعليه اتخذت مسارات رمزية تماهت فيها الصور والشخصيات فالرجل وطن والقلب طائر والحب خنجر.

الرمز وسيلة تعبيرية غايتها اثناء التشكيل الشعري لان الشعر فن الرمز والترميز على حد قول فاليري والرمز افضل طريقة للإفشاء بما لا يمكن التعبير عنه وهو معين لا ينضب للغموض والايحاء بل والتناقض<sup>(١)</sup>.

وتعد قضية الرمز الشعري واحدة من الانجازات المهمة في القصيدة الحديثة عموما ولقد بلغت من المكانة الفائقة الحد الذي قال عنه الشاعر عبد الوهاب البياتي (ان الرمز والاسطورة والقناع هي اقانيم القصيدة الحديثة وبدونهم تجوع

• كلية التربية / جامعة الموصل

١ . الرمز والرمزية في الشعر د. محمد فتوح احمد، ٣٦، دار المعارف ط٢. القاهرة، ١٩٧٨.

وتعري وتتحول الى مشروع او هيكل عظمي لجثة ميتة<sup>(٢)</sup>.

وهو منهل خصب من مناهل التجربة الشعرية واداة للتعبير عن حالات نفسية اذ هو ظاهرة فنية تستثمر المنجزات الثقافية الانسانية تتأملها بعمق لتعيد انتاجها من جديد بوساطة النشاط الروحي الخلاق، لتركب من الثقافة الانسانية اشكالا رمزية، وتحيل هذه الاشكال الى رغبة الوعي الانساني في التعبير عن الحقيقة والواقع باكثر من شكل واحد<sup>(٣)</sup>.

الرمز من الوسائل الفنية المهمة في الشعر العربي القديم الا انه في القصيدة الحديثة تجاوز ذلك عبر جملة من التحولات التي اسهمت في اغناء الرمز دلالة وايحاء بوصفه وليد رؤيا شفافة حدسية تضيء النص بلمعات خاطفة خلف الدلالات التي تتموضع في التجربة الشاعرة المنطوية على نفسها وراء تقنيات الرمز والتشفير<sup>(٤)</sup>.

ولما كان الرمز افقاً مفتوحاً للتلقي والتأويل لذا (يصعب كما يقول ريكور ان نقيم قوانين عامة متفقا عليها للتأويل ان بعض الباحثين يعاملون النص او الرمز بوصفه نافذة تطل على حقيقة مقدسة، وبعض الناس يرمون هذه النصوص بالزيف الذي يجب مواجهته وتحطيمه)<sup>(٥)</sup>.

بعد استقراء مفصل للمجاميع الشعرية الاربع التي اصدرتها الدكتورة بشرى البستاني وهي (زهرة الحدائق) و (اقبل كف العراق) و (البحر يصطاد الضفاف) و (مكابيات الشجر) تبين للباحث ان الرمز في شعرها توزع على محاور متعددة

٢ . الرمز الشعري في قصيدة بابل لبشرى البستاني في التشكل والدلالات بحث ريم محمد طيب الحفوطي، ٢ وينظر مجلة الجامعة العدد (٤) لسنة ١٩٧٧، ٢١

٣ . البحث نفسه وينظر الرمز الشعري عند الصوفية د. عاطف جودة نصر، ١٨، نقلا عن البحث نفسه

٤ . الرمز الشعري في قصيدة (بابل) ٢ وينظر دراسة في لغة الشعر د. رجاء عيد ١١-١٢ نقلا عن البحث نفسه

٥ . قراءة تأويلية في قصيدة (شجر الرمان) لبشرى البستاني د. احمد جار الله ياسين بحث ٤. وينظر نظرية التلقي والنقد العربي الحديث د. غسان السيد مجلة الاقلام العدد (٤) ١٩٨٨، ٢١ نقلا عن البحث نفسه

وطنية وقومية ودينية وتاريخية وذاتية وقد وظف بأساليب متباينة تناوبت بين الرمز الكلي والجزئي والقناع والاستعارة الرمزية بيد ان الرموز المهيمنة على شعر الشاعرة هما الرمز الوطني والقومي والرمز الطبيعي اذ شكلت الطبيعة بمكوناتها مرجعية ثرة لهذه الرموز.

### ■ المحور الاول: الرمز الوطني والقومي

اول ما تفتح صفحات ديوان (زهر الحدائق) تحس ان الشاعرة تتلظى بنار الوطن الارض وقد تلفعت بوجهه وتوحدت فيه فهو ليس وطننا للرضى والقبول والدعة وانما الوطن القدر الخفي الذي لا ينبغي ان نقف امامه صامتين قانعين وطن الصمود في المواجهة والتحدي لكل ما يعصف به للانتقال الى حالة افضل، الوطن الام والاب والاخت، ولا بد من الاخذ بايديهم في ازماتهم ومعاناتهم الى حيث النور والنوار والحب والحياة تقول في قصيدتها (البصرة).

ملقعةً بوهج النار

طافحة بفوح الفلّ والنوّار

صامدة وحقّ النخل والوعدِ

وحقّ أبي الخصيب وهيبة الجندي

وحقّ هوائك اکتّم منه أضعافَ

الذي ابدى<sup>(٦)</sup>.

انه الحب الشمولي البعيد الامد الذي لا تحتضنه العبارة على ما فيها من ظلال الشعرية والغنائية والانسيابية الجميلة انها تكتّم اضعاف الذي تبدي.

الشاعرة تعتمد الرمز في التعبير عن حياها فهو يفوح كشدى الرياحين والرند ولا يمكنها كتمانها مهما حاولت وهي لا ترتضي لهذا الوطن بديلا بجنة الخلد ونلحظ مرارة الاسى والحزن والاصرار في حياها من خلال الاقسام المكررة ووقع الدال المكسورة في التقفية في المقطع السابق وهذا المقطع من القصيدة نفسها.

٦. زهر الحدائق بشرى البستاني، ٧ دائرة الشؤون الثقافية والنشر دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٤

وحيّ هواك يطلع منه في جسدي  
رياحيناً واجنحة،  
واسراباً من الدوري والرنيد  
وابكي مثلما تتجرح الأشجار  
اصرخُ ياغبار الصيفِ،  
ياوحد الشتاءِ  
وعيون الفجرِ  
لا اعطي العراق بجنة الخلدِ  
وحيّ الليلِ،  
ليلك شامخاً بعوايق المجد  
وحيّ ربك اعبدُ في تراها الله،  
والوجع المقدس يستبيح العظم مني<sup>(٧)</sup>.

ثم يتسع عندها الحدث لتحتضن آلام الامة برمتها فتربط ما يجري في القدس  
والبصرة انه الالم والامل انه البشارة والنذر انه العبء الذي يحمله عراق  
الحضارة والمعاناة العذبة مما يحيق بالامة العربية في تصديها للعدوان فهي تنتهي  
الى كل شبر من ارض الوطن الذي لا يقبل التجزئة والمساومة في المبادئ.

ثم ترسم معالم (البصرة) بالوان مؤكدة خصوصية الامة (ايا خمرية الوجنات  
يا بصرة) و (تلثم سعتها سكري) (ويا عربية اللفتات والغمزات) في هذا المقطع من  
القصيدة نفسها.

وحيّ رجالك الزرعوا الحدود مشاعلاً  
ورجالك الآتين ينتشلون  
وجه القدس

٧ . المصدر نفسه، ٨.

من غير العراق يضم وجه القدس<sup>(٨)</sup> .

وفي قصيدة (الحمامة) تعود للرمز من جديد بوصفه سمة بارزة في شعرها ويبدو الاختيار صعبا بين الجفاف والرواء بين اللظى والندى بين الحب والهجر ثم يتدفق العطاء الشعري لتفضيح عن انتمائها وحبها الذي يعتلج في كيانها والذي تقصر عنه العبارة لتؤشر حالة الغربة والهجر في الوطن الحبيب والحبيب الوطن

إنني الآن ما بين نارين

بين اللظى والندى

وما بين حيّ وهجرك نهراً وصبيرة<sup>(٩)</sup> .

ثم تذكر في القصيدة نفسها ما يمر بالمنطقة العربية من معاناة وسحق للإنسان العربي في المرحلة العصبية التي تمر بها الأمة مؤشرة اهم الاماكن التي تجري فيها الاحداث الجسام.

من جحيم المحيط لنار الخليج،

ومن قبة القدس حتى قبور امية،

بيروت تنشر وجهي على حافة الجرف،

تنشر موال حيّ على كتف دبابة غازية<sup>(١٠)</sup> .

عبرت البستاني عن حبها للوطن والارض والحبيب وهنا يتداخل عندها العام بالخاص بشكل لا يخفى على القارئ المتبع فتلمح في الخاص الحب ممزوجا بالمعاناة والالم والرغبة والامل وفي العام يتعلق بالوطن والارض وهذا الاسلوب متعلق بفنية القصيدة عندها وقد يعود الى خصوصية البيئة وكونها امرأة.

ولو بحثنا عن العلاقة بين الرمز ولغة الشاعرة لوجدنا اشراق الفكرة ووضوحها يبدو ذلك في قدرة الشاعرة على توصيل المشاعر مستندة الى حضور

٨ . المصدر نفسه، ٩.

٩ . المصدر نفسه، ١٦.

١٠ . المصدر نفسه، ١٦.

لغوي عميق ووعي في استحضار المفردة المعبرة المشعة المشبعة بالإيحاء والتي تنم عن غوص عميق بالتراث والمعاصرة أي انها شديدة الصلة بالتراث العربي ثقافة وتخصصا فضلا عن ثقافة عصرية واعية وراء تلك اللغة ويمكن ان نتلمس صوت امرأة وذلك عندما تلجأ للتلميح.

وحيّ هوائك اكنتم منه اضعاف

الذي أبدي<sup>(١١)</sup>.

ثم ترسم الشاعرة خصوصية البيئة التي احبتها على الرغم مما فيها من بساطة عذبة وقساوة مؤلمة انه الحب عذب على ما فيه من مرارة ساحقة ومكابدة مضنية وكل هذه المقاصد يلقيها الرمز من جديد.

وتدرك أنّ عذابك عذب

وانك تحضر في جلسات الهدوء، على الشاي عصرا

وفيروز تهمس

وسع السماء احبك، كبر البحر"

وفي الشارع الافقي اجوبه ليلا وانت معي

وحديث يتمم بيني وبينك عن خطر العنف،

عن بهجة الحب،

عن ليلة لن تجيء<sup>(١٢)</sup>.

اذن الرؤيا واضحة والخلاص مستحيل لا يترك الا ندوبا في الذاكرة ومرارة في القلب ان الشاعرة بشرى البستاني تنظر الى الام الامة وحزنها نظرة شاملة فتنتقل في قصيدتها (قصائد عن الحب والحرب) من جزء لآخر في هذا الوطن الفسيح الارحاء لتشخص الداء الذي حاق بالامة وهو يستثير الهمم والعذاب اينما حلّ لأنه وطن واحد يستدعي السهر على مصابه، كلّ ذلك يأتي بلغة شعرية رصينة وايقاع

١١ . المصدر نفسه، ٧

١٢ . المصدر نفسه، ١٨.

جميل معبرا عن تجربة شعرية في حسن انتقاء المفردة المصورة للفيض الشعوري  
يا بهيَّ الوجه من دقَّ على بابي وراخُ  
ومن استنهض في قلبي جرحاً،  
واستراخُ<sup>(١٣)</sup>.

ثم تحاول استحضار معاناه الامة في صراعها وتحديها ماضياً وحاضراً فتذكر  
بني حمدان والجولان والدلتا ولبنان واسار غزلان العراق  
انني ابصر رايات بني حمدان تختضُّ على جرح الرجال  
وأرى سرب القطا المذبوح في ليل الجزيرة  
وعصافير الهوى المجروح حول القدسِ  
والجولانِ والدلتا الأسيرة  
وانا المح قطعان المها المطعونة الاحداقِ  
في لبنان، من يجتثُّ حزني؟  
انني اصرخ من هوة هذا المنحدر  
من يزيح القيد عن جذع الشجرِ  
من يفك اسارَ غزلان العراق  
يلمُّ احزانَ العراق،<sup>(١٤)</sup>.

الرمز قد استخدم في شعرها بشكل مكثف خلافا لما نراه عند الشعراء الاخرين  
لاسيما شعراء جيلها ممن قطع اشواطاً في تجربة الشعر الجديدة ولو اننا تعمقنا  
في البحث عن الغرض الاساس الذي من اجله وظف الرمز عند الشاعرة بشري  
فشعرها يطفح بالرقعة حتى في اوج عنفوانها وهي تتحدث عن الحرب والشهادة  
والحزن والالم

١٣ . المصدر نفسه، ٢٨.

١٤ . المصدر نفسه، ٢٩-٣٠.

من اين جئت،  
تفتقت كلُّ الشقائق  
وانتشي وردُّ العرائس بالندی  
وتضمخت غاباتُ روجي بالعبير  
وجئت في بهو الامان<sup>(١٥)</sup>.

وفي مجموعتها (اقبل كفّ العراق) تعتمد الشاعرة الرمز بصورة واضحة دون  
توظيف القناع وغيره وعدم الايغال فيه بالشكل الذي تلمسناه في المجموعة  
السابقة ربما لانها كتبت للمقاتلين وعامة الناس فتعمدت ايضاح الفكرة او انها  
اكتسبت خبرة في تجربة الكتابة للحرب تختلف عن السنوات الاولى التي يأتي  
الشعر عادة فيها طافحا بالعاطفة والمشاعر والغنائية لذا قامت القصيدة عندها  
على البناء الدرامي والتكنيك الفني الذي يقتضي التروي والهدوء في تعمق الفكرة  
تقول في المقطع الاول من قصيدة (الفرسان)

مطرٌ يبلُّ سافياتِ الريح،  
تحت السرو تصهلُ لوعةً  
وتلوبُ بالصبوات  
لا ....

قال العواذل !  
مهرها غال!<sup>(١٦)</sup>.

ولما تقترب من وصف حالة الحرب تباشر ما تقول وكأنها تحدث كل الناس وتعرض  
البيانات بلغة شعرية مؤثرة وقريبة من المؤلف المعيش في واقع الحياة اليومية  
ويبدو الرمز شفافا في هذا السياق الشعري:

قال بالأمس البيانُ

١٥ . المصدر نفسه، ٢٨.

١٦ . اقبل كف العراق بشرى البستاني ٧ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.



وزادَ

أنزلنا بعدتهم دمارا

ما نجا منهم دخيلٌ،

- خائف قلبي، فلا تقلع مساء اليوم

- طياراً عراقياً سيحملني

البيانُ يقولُ:

احرقنا همو في الجوّ

طاردنا فلو لهمو،

يضوعُ هوى التراب بنا

ويهبو الفجر،<sup>(١٧)</sup>.

والاداة الفنية تؤدي دورها في بناء القصيدة واحكام النسيج وتلحظ ذلك الايقاع المتكرر ل(الا تجيد الرقص) وهي لازمة ايقاعية تؤدي وظيفة دلالية مهمة تهدف الى فعل من افعال مقاومة الموت الناجم عن الحرب، فالانوثة تعمل بضراوة واصرار على تحويل مجرى اهتمام الرجل بالحرب والقتال، لكنه يعود بها الى الكّر والموت، وهي لا تياس بل تعاود مرات دعوته الى حيوية اللحظة وفرح الحياة في هذه المقاطع من القصيدة نفسها.

الا تجيد الرقص..؟

- لا..

بل أتقن الكّر العراقيّ الاصيلَ

الا تجيدُ الرقصَ؟

ياخذني الدواؤُ

بواحةٍ في الشام اصرخ بالنخيل،

١٧ . المصدر نفسه، ٩-١٠.

الا تجيدُ الرقصَ  
- لا .... بل اتقن الموتَ المكابِرَ

الا تجيد الرقص .....؟

سكين بخاصرتي

وسيدةٌ تخضَّبُ وجهها بالصبغ

تستلقي على الدروبِ

يروعها في التحدي<sup>(١٨)</sup>.

القصيدة تعرض موقفا دراميا تؤشر طبيعة الصراع الدائر في المنطقة والشاعرة هنا ليست واصفة لذلك الصراع وانما هي جزء مشارك في التحدي والكشف وهنا تكمن العلاقة بين الشاعرة وما يحيط بيئتها ضمن الزمان والمكان المحددين وتنبري في بيان انتمائها للفكرة التي امنت بها وكل ما تراه عائقا او يشكل حجر عثرة امام حرية الانسان فتقدم بذلك حضورا عصريا لقضية امنت بها وارتبطت بها مصيريا وهذا الموقف جاء طبيعيا من خلال البناء الشعري ولم يكن ضربا من التخيل والوهم البعيد الدفاع كان امرا واقعيا لحالة التصدي والمواجهة والشاعرة تعي دورها وما تصنع لانها قد امت بطبيعة ما يحدث من كل جوانبه فنيا وثقافيا من خلال العمق التاريخي لما يجري في المنطقة العربية من تحد وصراعات تنفجر بين اونة واخرى كلما بدأ العرب ينهضون للمشاركة في بناء الحضارة الانسانية.

وهي متفائلة فيما سيؤول اليه الصراع ومطمئنة الى قدرات الانسان المكافح في حسمها لما تمتلك من حضارة عريقة تقتضي الثبات وعدم التفريط بها وتشويه معالمها.

ها همو يتساقطون على جذوع النخلِ

يلتفتون نحو الامس،

١٨ . المصدر نفسه، ١٤-١٦.

- كسرى مرّة اخرى !!?  
 واحرقنا بهم كل المنافذ  
 لا مفر،  
 البحرُ .... صوت البحر،  
 حسمُ الحرب،  
 لا .... صوتُ عراقي سيحسمها،  
 انا في الليل اسمعهُ،  
 يخبئني بأحرفه،  
 ويعطيني العلامة،<sup>(١٩)</sup>.

ثم تعود للمباشرة من جديد في وضوح الدلالة فتقول تباعا في القصيدة نفسها.

طفلةٌ في الفجر تهزجُ:  
 يا صباح الخيرِ يا قمرَ الجنود ابي  
 وتلثم بدلة الخاكي وتنشد:  
 يا حمام الدوح  
 بلغهم سلام الروح،<sup>(٢٠)</sup>.

وهكذا تقف الشاعرة بشرى البستاني على ارض صلبة من الوعي والثقافة اللذين مكنها من بناء رموز استطاعت بها الشاعرة ان تجسدها بنجاح واقتدار التوحد والانتماء وفي قصيدة (مكابدات ليلى في العراق) تتجلى القصيدة لتفصح عن المعاناة العراقية موظفة تقانة القناع التي هي احدى اشكال الرمز اذ تتقنع الذات الشاعرة بشخصية ليلى العامرية وهي شخصية عذرية تاريخية جعلت

١٩ . المصدر نفسه، ٢١-٢٢

٢٠ . المصدر نفسه، ٢٢-٢٣.

الشاعرة صورتها قناعا واذا كانت قصيدة القناع وجودا مستقلا، وجودا للنص  
ينفلت به الشاعر من الذاتية الى العمومية كما يقول البياتي فان الشاعرة هنا  
اتحدت بالقناع وباحت بلسانه.

فمثلما خذلت العشيرة ليلى ولم تؤازرها او تنتصر لحيها خذلت الامة العراق  
وتركته لحراب الاجنبي فسياط الاهل هي سياط الامة التي تلهب جسد العراق  
وفتيان العشيرة الصم هم الحكام العرب الذين باعوا الوطن للاجنبي وتركوا  
العراق وحده في مهب العاصفة تقول في نصها:

لكنْ الى اين المفرُّ

سياط اهلي،

والمفرُّ غيابُ اهلي

عورةٌ حيي فمن يكسوهُ .... ؟

فتيان العشيرة !....

صمٌّ وبكمٌ .....

آه ...

عميُّ كلُّ فتیان العشيرة

.....

والجوع يافتيانُ كافرُ

والفقر كفرُ فاقتلوه ....

يكاد ....؟ لا.

او فاقتلونني <sup>(٢١)</sup>.

وفي قصيدة (العراق) من ديوان (مكابدات الشجر) تقول الشاعرة

٢١ . البحر يصطاد الضفاف، بشرى البستاني، ١٠٦-١٠٧، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد.

والعراق عباءة امي،

وثوب العذارى،

اللواتي يمتن على السفح

من ظمأ واغتراب<sup>(٢٢)</sup>.

وغير خافية هنا ايحاءات العباءة رمز الستر والغطاء الذي يكتنف مشاعرها وهي رمز الدفء والحنان والرعاية فالعراق عباءة العرب الدافئة وراعي الحضارة وهو ثوب العذارى نقاءً وطهراً ونبلاً لكن عذاراه اليوم يمتن في الهامش معزولات يقتلن الظمأ والاغتراب. ولكن أي ظمأ هو ظمأ العواطف واندثارها وموت الامل واضمحلاله.

وترى احدى الباحثات ان موت الانوثة متحقق بعوامل خارجية قمعية هي الظمأ ينتج عنها عوامل داخلية تتمثل بالاغتراب وموت الصبايا يتشظى ليشمل كل انواع التغييب والازاحة<sup>(٢٣)</sup>.

وفي قصيدتها (بابل) وظفت الشاعرة الرمز الوطني فبابل رمز للعراق بكل ما يحمله من تاريخ وحضارة وعراقة بابل هنا اسيرة الهيمنة الاجنبية تخاطب فارسها تبحث عنه وقد وظفت الشاعرة الرقص بوصفه احد طقوس العبادة البابلية من جهة وطقس لدفع العذاب والالام من جهة اخرى فهي تتواصل مع هذا الفارس بحثا عن الحقيقة التي تدرا الكذب والعدوان ومحاولات الابداء والتعذيب والتغييب اذ تقول:

هذا اوانُ الرقص؟

هاتِ يدك،

خيّ دمعتي،

٢٢ . مكابدات الشجر، بشرى البستاني ٩، وزارة الاعلام دار الشؤون الثقافية العامة ط١، بغداد، ٢٠٠٣.

٢٣ . بحث شعرية الجنوسة مقارنة لنص قصيدة (العراق) للشاعرة العراقية بشرى البستاني د. وفاء عبد اللطيف زين العابدين، ١٠.

في عتمة الليل الذي يجئو

على كتفي معطفه،

.....

وابحث عن يديك

تلم عن خصري القناديل الكذوبة،

وانطفاء الاشرعة<sup>(٢٤)</sup>.

انها تبحث عن الفارس المحب الذي يخبيء ويمسح الحزن تحسُّ بأن كلَّ القناديل الموقدة هي قناديل كذوبة لا عاطفة فيها ولا احساس وان الزمن يجري باتجاه انطفاء الاشرعة وجنو العواطف وعلى هذا لجأت الى الرمز ملاذا تصور فيه صرامة الواقع وقساوته وتهرب الذات الشاعرة من مرارة الزمن الذي اصبحت فيه الحياة اشد وقعا من التخيل.

### ■ المحور الثاني الرمز الطبيعي

لعل جوته قد فهم الرمز على انه امتزاج للذات بالموضوع والفنان بالطبيعة فانه يكون منطقيا مع نزعته المثالية التي ترد العالم الخارجي الى رموز للمشاعر<sup>(٢٥)</sup>.

يقول (دود) ان (جانب الطريق والطيور والاشواك والارض الصخرية ليست كما يظن مرقس، عبارات تلخص العذاب، وغواية الغنى، وما الى ذلك، فهي المذكورة لتستحضر صورة القدر الهائل من الجهد الضائع الذي يجب ان يتحملة الفلاح، فتبرز بذلك ما يمنحه الحصاد من رضا برغم كل شيء)<sup>(٢٦)</sup>.

شكلت الطبيعة بجبالها وبحارها وانهارها وشجرها وقمرها وما الى ذلك من مكونات طبيعية مرجعيات ثرة لهذه الرموز عند الشاعرة بشرى تقول في مجموعتها (البحر يصطاد الضفاف).

٢٤ . مكابيات الشجر ٧٤-٧٥.

٢٥ . الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ٣٧

٢٦ . موسوعة المصطلح النقدي، جون ماكوين الترميز ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، ٣٨ دار المأمون،

بغداد، ١٩٩٠.

ارقصُ طول الليلة

وحدي .....

انزفُ .....

تطلعُ في دمي الاشجارُ

وتدور معي ...

تتدلى ثمراً مرأاً..

تنزفُ ...

في اخرة الليل،

ندوخ معاً

ونولّي الادبار<sup>(٢٧)</sup>.

في هذا النص تبدو معالم الوحدة المعتمدة واضحة جدا اذ تعبر الشاعرة بصورة رمزية يجسدها تكرار الفعل المضارع الذي يوحي بالاستمرارية والتجدد عن مأساة الوحدة والضياع ويأتي (الثمر المر والنزف) في القصيدة معبرين بوضوح لا يقبل اللبس عن الهدر في المكونات الانسانية العاطفية وضياع العمر بمكابدات شتى في ظل حروب متلاحقة او شكت ان تفني الناس جوعا ومرضاً وقهراً وينبني المقطع الشعري على دراما حادة تتحرك في فضاء حصار وحرب فتقاوم الذات الشاعرة حزنها وعذاب وطنها بالرقص الذي لا يشيع فرحاً كما هو المعتاد لكنه يصاحب بالنزف والوجع لأنه رقص العزلة والاعتراب ومن النزف تطلع الاشجار رمزا طبيعياً لكن المفارقة تكمن في ان هذه الاشجار لا تثمر الحلم والامل لكنها تثمر ثمراً مرأاً فشعرية المقطع اذن تنهض على مفارقتين رمزيتين الاولى ان الرقص يؤول الى نزف وليس الى فرح والثانية ان الاشجار التي سقيت بالدم تنتج ثمراً مرأاً وهنا تتجلى قمة المعاناة الانسانية.

لعل لصوت الرء بما يحمله من ترجيع صوتي ترتبط دلالته بالتركرار اثره في

٢٧ . البحر يصطاد الضفاف، ٣٥.

اغناء النص ايقاعا وايحاء باستمراره فقد جاء حرف الراء سبع مرات مؤكدة  
فاعلية هذه الدراما وتجدها في كل وقت تقول الشاعرة في نص اخر  
وعندما اشرع شباكي له.....

يغيب ...

الطارقُ المريبُ

يطلبني في الليلُ

ارْدُ ...

لا يجيب (٢٨)

فمن هو الطارق وما علاقة الذات الشاعرة به، هذا ما لا يشير اليه النص  
ليبقى التساؤل يحوم حول الطارق في حالة من الحيرة والغياب.

فهي تنتظر هذا الطارق وبمرارة لكنه طارق منذ البدء مشكوك في كل ما حوله  
وعندما تحدث الاستجابة يغيب الطارق فيختلط الواقع بالخيال والحقيقة بالحلم  
ولا ندري حدا فاصلا بين المتخيل والواقعي.

الانتظار لم يقد الى النتيجة المبتغاة بل قاد الى الغياب النهائي اذ تقول:

وتكبرُ الثقوبُ في الجسدُ

فلا تجيء بهُ اليّ،

لا تجيء

دع الزمان غافيا،

والجرح في رغد (٢٩)

اذن الرؤيا واضحة والخلص مستحيل لا يترك إلا ندوبا في الذاكرة ومرارة في  
القلب ويتكرر الامر نفسه في قصيدة (تباريح) اذ تقول:

٢٨ . المصدر نفسه، ٥٨.

٢٩ . المصدر نفسه، ٥٩.



لوعني الحب  
اسلمني لنجوم الظهيرة  
فاشتعلت غابة الافق  
غاصت تباريح روعي في الرمل  
غار الجسد<sup>(٣٠)</sup>.

الشاعرة تفصح هنا دون مواربة عن حبها ولكن أي حب انه الحب اللا مجدي الذي يسلم لنجوم الظهيرة وهنا احالة تناصية الى المثل الشعبي (اراني نجوم الظهر) كما ان هذا الحب بدل ان يقود الى التفتح والازدهار شأنه شأن أي حب اخر كانت نتيجته غوران الجسد وتصف الشاعرة هذا الحب بأنه جعل روحها تغوص بالرمل إنها مكابدة الانسان المعاصر المذبوح باستلابات القهر والقسر والطغيان اذ تتساقط اشواقه ومواجيده وكل اشياءه الجميلة ليصير مالها الى اعماق الرمل ومعها الجسد دفنا وموتا وتغييبا وتتجلى رمزية النص الشعري بوضوح في قول الشاعرة

بهدهوء تتسلل نحوي

يقفز ظي الموج

إلى حضن الشيطان

.....

فرس الحب تلف حروق الاشجار

لا أحد يدرك سرّ اللعبة

الا من خبر اللعبة

وانحلت بين يديه الاسرار<sup>(٣١)</sup>.

٣٠. المصدر نفسه، ٤١.

٣١. المصدر نفسه، ٨٨-٨٩.

هنا ترتبط الدلالات الرمزية الطبيعية بالدلالات النفسية في تشكل لعبة الغياب والحضور ان يتسلل الحب بهدوء فضلا عن ان دلالات ظبي.. حزن الشيطان، فرس الحب بما تحمله من دلالات رمزية طبيعية وما تؤول اليه من المقاصد النفسية التي تكمل الشاعرة ايضاها بالقول الوارد في نهاية النص فهي عاطفة غير مكتملة عاطفة تعيش الحلم وتنأى عن الواقع وتتجسد بصورة تتلاءم وتتواءم مع صدق العاطفة من جهة وقيود التقاليد من الجهة الاخرى.

ولعل اشد الايضاح يتجلى في قصيدة (مكابدات ليلي في العراق) التي تقول الشاعرة في افتتاحيتها:

قيس يطارد غزلان نجد

وقلبي يطاردهُ في الزحام<sup>(٣٢)</sup>.

فلعنة الحب المستحيل واضحة في جميع مقاطع القصيدة ويظل الانتظار غير المجدي سيد الموقف اذ تقول:

وانا المخدوعة وسط نساء الحي ....

وانَّ الارض

كانت من حولي ارضا بور<sup>(٣٣)</sup>.

لعبة الانتظار لم تكن مجدبة وظلت الارض بورا لم ترتو لان الخيانة هي سمة من بايديهم السلطة في المنطقة كلها، ولعلها تختلف في تجربتها كليا مع نازك الملائكة في ديوانها الذي اصدرته سنة ١٩٤٩، فزمن نازك زمن شاحب بائس بينما يتجلى زمن بشرى البستاني زمنا مقاتلا مقاوما، ففي شظايا ورماد حيث يخفت الانين الذاتي المسرف لكنه لا ينقطع بل يتجول الى فلسفة عاطفية كامنة تمتزج فيه المرارة العميقة بيقين الشاعرة ان الحياة سراب وانها لم تكن في سني عمرها المنصرمة الا (كجامعة الظلال) تجري وراء الوهم وتقبض على الريح<sup>(٣٤)</sup>.

٣٢. المصدر نفسه، ٩٩.

٣٣. المصدر نفسه، ١٠١.

٣٤. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ٢٠٧.

تصور نازك الملائكة في قصيدتها (لعنة الزمن) من ديوان (قرارة الموجة) لحظة  
من لحظات الوهج العاطفي بين حبيبين يجتليان المساء على شاطئ نهر تطفو  
عليه جثة سمكة ما تلبث ان تغدو عملاقا ينذر العاشقين بالفراق وكأن الشاعرة  
ترمز الى وطأة الاحساس بالزمن يهتصر السعادة ويحيل الحلم الى حقيقة كئيبة  
ويضفي ظلاله السود على عواطفنا حتى وهي في ذروة ازدهارها فلننظر في نصها  
كيف تمّ تكوين الرمز

ووقفنا في الظلمة نحلم

بالموج وبالليل المهم

ونحوك من الأنجم والرؤيا والامواج لنا اطواق

ونجوب العالم في عربات

صنعها اذرع جنيات

من عطر الازهار الخجلات

من اسلاك الضوء الالاق

في قهر النهر على ارض لم يلمسها القمر الالاق

وتناست مولدها الافاق<sup>(٣٥)</sup>.

تقول الشاعرة بشرى البستاني مصورة الزمن في قولها

دقت الصافرة....

هو الوقت لا ينقضي

يقطع الوقتُ اوردي

والدقائق ليست تمرّ

تعلّقني فوق حبل مدلّي

تسائلُ:

٣٥ . نقلا عن المرجع السابق ٢٠٧.

من سيموت بأخرة الليل<sup>(٣٦)</sup>.

الزمن زمن شديد البطء متثاقل الخطوات وكأنه يدوس بقدميه الثقيلتين على الذات الشاعرة فالدقائق لا تمر حتى تصفها بأنها حبال مشنقة ولعل هذه الصورة من اجمل الصور التي اختارتها الشاعرة فبطء الزمن سبب عامل الخوف بعد ان دقت صافرة الانذار يجعل بندول الساعة يبدو كمشنقة تنتظر من ينفذ فيه حكم الاعدام فبعد ان دقت الصافرة وابتدأ القصف الكثيف اصبح الموت حقيقة واقعة وكأنه ينتظر الحدوث في اية لحظة ولاي شخص وهذا الزمن بالتأكيد مختلف عن زمن نازك الملائكة فنازك تتحدث عن لحظة عاطفية متوهجة والشاعرة بشرى تتحدث عن لحظة حربية عن زمن الموت والدمار والخراب في قصف عشوائي لا يميّز بين الاشياء. تقول الشاعرة بشرى البستاني في قصيدتها (موسيقى عراقية) من ديوانها (مكابدات الشجر):

قالت الأرض:

لا تستفق يا هواي الاخير

قلت:

كل الزمان

صالح للتشرد

كل المكان

صالح للتوحد

كل المدى.....

صالح للحلم...

وكل المواعيد شاحبة

غير موعد قلبي

ومقفرة غير موعد حيي

٣٦ . مكابدات الشجر، ٣٤.

فلا تبتعد...

انها اللحظة المستحيلة

لكنني....

لن اجيء

لتبقى وحيدا ويغمر وجهك حزن جديد<sup>(٣٧)</sup>.

لم يعد للزمان والمكان قيمة بل اضحى الزمن هو هو والمكان أي مكان ممكن فقد فقدت الاشياء خصوصيتها واصبح الزمان والمكان دمارا ولم يعد هناك من مهرب سوى الحلم الذي غدا هو الملاذ الاخير للشاعرة التي ترى بلدها واحبتها تحت القصف والدمار فتحلم باليوم الذي تنجلي فيه الكارثة.

من هنا فالزمن عند نازك زمان واقعي معيش والزمن عند بشرى زمن نفسي شعوري تحكمه الظروف وتطيله او تقصره اللحظات النفسية التي تعيشها الشاعرة.

تبين مما تقدم ان الشاعرة بشرى قد وظفت مكنونات الطبيعة بصورة رمزية لتبوح بمكنونات الحب والفرح وتفصح دون موارد عن حيا لهذا الجزء من بلدها بطبيعته الخالابة ولتحول الطبيعة الصامتة الى كائن حي تحاوره وتبثه مكنونات ذاتها الشاعرة.

وقد تعاملت مع الزمن بوصفه زمنا مقاتلا متحديا رافضا لا يهادن ولا يسلم نفسه في لعبة اليأس والضياع.

٣٧ . المصدر نفسه، ٥٣-٥٤.